المجلس الخامس

القصيـدة:

كيف تُهنيني الحياةُ وقلبي.

الموضوع:

الصحبة في الإسلام.

المصيبـة:

جهاد النساء في كربلاء.

صـــلى الله عليـــك يـــا رســـول الله وعلـــــــى آلـــــــك المظلـــــــومين
صـــلى الله عليـــك يـــا أبـــا عبـــد الله صـــلى الله عليـــك يـــا بـــن رســـول الله
ياصـــــريع الدمعـــــة الســـــاكبة وصـــــاحب المصـــــيبة الراتبـــــة
عليـــــك منـــــي ســـــلام الله ابـــــدا مـــا بقيـــت ومـــا بقـــي الليـــل والنهـــار
يـــا ليتنـــا كنـــا معكـــم ســـيدي فنفـــــوز والله فـــــوزا عظيمـــــا

آآه...

كـــيفَ تُـــهنينَي الـــحياةُ وقلبـــي بعـدَ قـتلى الطـُفوفِ دامـي الجِـراح
بِـــأبي مَـــن شَـرَوْا لِقـاءَ حُسـينٍ بِفـــــــراقٍ الـــــــنُفوسِ والأرواح
وقـــفوا يَـدرَؤُونَ سُـمرَ العـوالي عـــنه والـــنَّبلَ وقـــفةَ الأشـــباح
فـــوقوه بـــيضِ الظبـــا بـــالنحورِ البـــيضِ والنبـــلِ بـــالوجوهِ الصـــباح
فـــئةً إنْ تـــعاوَرَ الـــنّقعُ لـــيلاً أطـــلَعوا فـــي ســـماهُ شُـــهبُ الرّمـــاح
وإذا غَـــنَّتِ الـــسُّيوف وطافـــت أكـــؤسُ المـــوتِ وانتشـــى كـــلُّ صـــاح
بـــاعَدوا بـــينَ قُربـــِهم والمَواضِـــي وجُســـــــومِ الأعـــــــداءِ والأرواح
أدركـــوا بـــالحسينِ أكـــبرَ عيـــدٍ فغـَدوْا فـــي مِنَـــى الطـُفوفِ أضـاحي
بـــأبي الـــوارِدونَ حَـــوضَ المنايـــا يـــومَ ذيـــدُوا عـــن الفـــُرات المـــُباح

(أبوذيـــة):

الفـــزع يهـــل الوفـــه اعلـــيَّ تـــراكم حـــين اعلـــه الثـــره نمتـــوا تـــراكم
اصـــبر كيـــف واعيـــوني تـــراك قتلـــى كلكـــم يفرســـان الحميـــه

لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ[1]}.

إنَّ الإنسانَ إجتماعيٌّ بطَبعِه ميَّالٌ إلى الإجتماعِ بالناسِ والإستئناسِ بهم، والإنسان عندما يتخذ صاحباً له لا بُدَّ أن يكونَ هناك رابط بينهما، هو الذي أدّى إلى إجتماعِهِما وصُحبتِهما.

فالذي ينظرُ في المجتمعِ يَجدُ أنَّ الناسَ يصنفون إلى عدَّةِ أصنافٍ، والسببُ في ذلك هو إختلاف مقاصِدهم وأحوالهم وأخلاقهم وصِفاتهم؛ فأهل الإيمان جمعهُمْ الإيمان بالله تعالى، وأهل الكفر جمعهُمْ كُفرهم به عزَّوَجل.

لِذا حذَّرَ الإسلامُ المسلمين من سوءِ إختيارِ الصُحبةِ وبالذاتِ صُحبة السوء، الذين يُجاهرون بالمعاصي ويُباشرون الفواحش دونِ أيّ رادعٍ ديني و لا أخلاقي، لِمَا في صُحبتِهم من الداءِ، وما في مُجالسَتِهم من الوباءِ، وحثَّ المُسلمَ على إختيارِ الصحبةِ الصالحةِ والإرتباطِ بأصدقاءِ الخيرِ الذين إذا نَسيْتَ الله ووجوبِ إطاعَتِه والإبتعاد عن معْصِيته ذكَّروك، وإذا ذَكَرْتَ أعانوك.

ومن الصفاتِ التي يَنبغي أن يَتحلَّى بها الصديق حتى يكونَ صديقاً صالحاً: الوفاء – الأمانة – الصدق - البذل، والبُعد عن ضِّد ذلك من الصفات.

والصداقة إذا لم تكن على طاعة الله فإنَّها تَنقلبُ يَومَ القيامةِ إلى عداوة.

---

[1] الزخرف: ٦٧

فالمطلوبُ من المسلمِ أن يُحْسنَ إختيار أصدقائه، لأنه يتأثر بدينهم و بعملهم وأخلاقهم، فإن كانوا أصدقاء سوءٍ تأثر بهم وبأخلاقهم السيئة، وإن لم يشاركهم أعمالهم السيئة، فأنه وافقهم عليها وهذا إثم كبير يقع عليه، ويُصنف تبعاً لهم، وخاصة عندما نرى صُحبة بين إمرأة مؤمنة محجبة ملتزمة تخافُ الله ظاهرياً وباطنياً وترعى الحدود الشرعية، و تعمل الصالحة، وأخرى فاسقة متبرجة غير ملتزمة لا تخاف الله ولا تُراعي الحدود الشرعية و تعمل السيئات، لذا علينا المسؤولية في إختيار الصُحبة، ونكون إمَّا هادين الناس إلى الخير وطاعة الله أو مَهديين للخير وطاعة الله منهم، وليس العكس وصدق من قال: "قُلْ لي مَنْ تُعاشر أقُولُ لكَ مَنْ أنتَ".

و إن كانوا أصدقاء خير، تأثّر بأخلاقهم الحميدة وأعمالهم المُرضية لله عز وجل، وكانوا له عوناً على طاعة المولى عز وجل، و يَبيّنون له مواطن العلل فيعمد إلى إصلاح نفسه، لأن هناك من يُذَكِّره بتقوى الله ويُذكره بالموتِ وغَمته، والقَبْرِ وظلمته، ويوم القيامة وحسرته، والنار وعذابها، والجنة و نعيمها. ففي الحديث عن رسول الله (ص): " المؤمن مرآة أخيه". إذاً فالميزان والأساس في الصُحبة أن تكون مقرّبِة من الله مبعِّدة عن الشيطان، مقرّبِة من الإيمان مبعِّدة عن الكفر والفِسوق، مقرّبِة من الطاعات مبعِّدة عن العصيان، مقرّبِة للجنة مبعِّدة عن النار، مقرّبِة للخير مبعِّدة عن الشر، فتكون صحبة فيها فائدة دنيوية وأُخروية برِضا الله وعدم سخطه كصحبة رسول الله (ص) وصحبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، حيث نرى سلمان وأبا ذر وعمَّار بن ياسر والمقداد

جابر الأنصاري وميثم التمار وحجر بن عُدَيْ وكُمَيْل بن زياد وغيرهم من الصحابة المصطفين الذين أنعم الله عليهم، فاستفادوا في الدنيا والآخرة ببركة صحبتهم واطاعتهم وعدم خيانتهم و مخالفتهم للحبيب المصطفى (ص) وأمير المؤمنين (ع) علي بن ابي طالب (ع).

فكانوا خير صحبة برفقة خير صاحب ومصداقاً لقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّه وَالرَّسُول فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا[1] }.

وهكذا كانوا أصحاب الإمام الحسين (ع) في كربلاء حبيب وبُرَيْر وزُهير ومسلم وعابس وجون والحر، وهكذا أيضاً كانت النساء اللواتي كانت بصُحبة العقيلة زينب في كربلاء فرفَضْنَ أن يَتْرُكْنَ زينب وأخواتها وأبيْنا إلى أن يواسيهنَّ. فعندما قالَ الإمامُ الحسين(ع) لأصحابه في ليلة العاشر من المحرّم: ألاَ ومن كان في رَحْلِهِ إمرأة فلينصرف بها إلى بني أسد. فقام عليّ بن مظاهر وقال: ولماذا سيّدي؟ فقال عليه السلام: إنّ نسائي تُسْبَى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي. فمضى عليّ بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته إجلالاً له واستقبلته بإبتسامة في وجهه. وقالت: يا بن مظاهر إنّي سمعت غريبَ فاطمة (ع) خطب فيكم وسمعتُ في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول.

[1] النساء: ٦٩

قال: إنّ الحسين (ع) قال لنا: ألاَ ومن كان في رَحلِه إمرأة فليذهب بها إلى بني عمِّها لأنّي غداً أُقتل ونسائي تُسبى. فقالت: وما أنت صانع؟ قال: قومي حتّى أُلْحِقَكِ ببني عمّك بني أسد.

فقالت: والله ما أنصفْتَني يا بن مظاهر، أيسرُّك أن تُسبى بنات رسول الله وأنا آمنة من السبي؟ أيسرُّك أن تسلب زينب إزارها وأنا أستَتِر بإزاري؟ أيسرُّك أن تنتزع من بنات الزهراء (ع) أقراطها وأنا أتزين بأقراطي؟ أيسرُّك أن يبيضَّ وجهك عند رسول الله (ص) ويُسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء (ع)، لا والله بل أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فرجع عليّ بن مظاهر إلى أبي عبد الله (ع) يبكي، فسأله: ما يبْكيك؟

فقال: سيّدي أبتْ الأسديّة إلاَّ مواساتكم. فقال (ع): جُزيتُم عنّا خيراً.

هذه صورة من أروع صور الصحبة والثبات والمواساة التي رسمتها مواقف هكذا نسوة، مجاهدات زوجات وأمّهات مضحيّات صابرات كان لهنّ الدور المؤثّر في جهاد رجالهن وأولادهن وفدائهم وإستشهادهم، وقد شاركن بنات الرسالة في ما جرى عليهن وواسينهن في مصائبهن، بل إنّ بعضهن قاتلت واستشهدت ومن هذه النماذج المشرفة:

زوجة زهير بن القين دلهم بنت عمرو: التي ظهر موقفها عندما حطّوا رحالهم في زَرود وجاء إلى زوجها رسول الحسين (ع) فتحيَّر زهير، وألقى ما في يده من الطعام هو ومن معه ولم يعرف جواباً فبادرته قائلة: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله (ص) ولاتجيبه؟ ما ضرّك لو أتيته فسمعتَ كلامه ثمّ انصرفت؟

فكان موقفها سبباً لتحوّل زهير إلى معسكر الحسين (ع)، ولمّا فارقها بكت وقالت له مودّعة: خار الله لك، ألك أن تذكرني في القيامة.

أمّ وهب زوجة عبد الله بن عمير: لمّا رأت بطولات زوجها في مقاتلة الأعداء إذْ قتل منهم رجلين وجُرح فطارت أصابع يده اليسرى، أخذت عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمّي، قاتل دون الطيّبين ذريّة محمّد (ص).

فأراد أن يردّها إلى النساء فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين عليه السلام : جزيتم من أهل بيت نبيّكم خيراً، إرجعي-رحمك الله- فإنّه ليس على النساء قتال، فرجعت إلى النساء. ثمّ قالت لولدها وهب: قم يا بنيّ وانصر إبن بنت رسول الله (ص). فقال: أفعل يا أمّاه ولا أُقصّر إن شاء الله، فلم يزل يقاتل حتّى قَتل منهم جماعة، فرجع إلى أُمّه وإمرأته فوقف أمامهما، فقال: يا أُمّاه أرضِيْت عنّي أم لا؟ فقالت أُمّه: ما رضِيْت حتّى تُقتل بين يدَّي الحسين (ع) إبن بنت رسول الله (ص). وقالت إمرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك. فقالت أُمّه: يا بني أُعزُب عن قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله، تنل شفاعة جدّه في القيامة. فتقدّم إلى الحرب ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه... فأخذت إمرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمّي، قاتل دون الطيبّين حرم رسول الله (ص)، فقال لها: الآن كنتِ تنهيني عن القتال فكيف جِئْت تقاتلين معي؟ فقالت: يا وهب لا تَلُمْني إنّ واعية الحسين كسرت قلبي فقال: ما الذي سمعت منه؟ قالت: رأيته جالساً بباب الخيمة وهو ينادي: واقلّةَ ناصراه!!

(نعي):

الله يعينـــــك مالـــــك معـــــين	وقومـــك علـــى الغبـــرة مطـــاعين
انـــا منـــين اجتنـــي كـــربلا منـــين	

فبكى وهب وقال لها: إرجعي إلى النساء -رحمك الله- فأبَتْ، فصاحَ وهَبْ: سيِّدي أبا عبد الله رُدّها إلى الخيمة، فردّها الإمام (ع) فانصرفت إليها فواصل وهب القتال حتّى قَتَل جمعاً من الأعداء، ثمّ أُخذ أسيراً إلى ابن سعد، فَضُربت عنقه، ورمي برأسه إلى معسكر الحسين (ع)، فأخذت أمّه الرأس، فقبلته، ثمّ شدّت بعمود الفسطاط، فقتلت به رجلين، فقال لها الحسين (ع): إرجعي أمّ وهب فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء، فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي. فقال لها الحسين (ع) لا يقطع الله رجاءك يا أمّ وهب. وبعد إستشهاد زوجها مشت إليه، وجلست عند رأسه تمسح الدم والتراب عنه، وتقول: هنيئاً لك الجنّة، أسأل الله الذي رزقك الجنّة أن يصحبني معك. فقال الشمر لغلامه رستم: إضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها بالعمود فشدخه فماتت في مكانها، وهي أوّل إمرأة قُتلت من أصحاب الحسين (ع) .

أُمّ عمرو بن جنادة الأنصاريّ: لمّا رأت أُمّ عمرو قِلّة أنصار الحسين (ع) وقد استشهد زوجها جنادة في الحملة الجماعيّة في بداية المعركة، أقبلت إلى ولدها وعمره إحدى عشرة سنة فألبسته لامة الحرب وقلّدته سيف أبيه الشهيد، وقالت له: يا بنيَّ أُخرج وقاتل بين يديْ إبن رسول الله (ص)، فخرج الغُلام

واستأذن الحسين (ع) في القتال فأبى أن يأذَن له، وقال: هذا غلام قُتل أبوه في المعركة، ولعلّ أمّه تكره خروجه، فقال الغلام: إنَّ أُمّي هي التي ألبستني لامة حربي، وقلّدتني سيف أبي، وأمرتني بالقتال بين يديك، ولكي يُؤكّد له ذلك عاد إلى أمّه باكياً فقالت له: أجَبُنْتَ عن القتال فقال لها: لا يا أمّاه ولكن سيّدي الحسين لم يأذن لي بالقتال. وكأني بها أخذت بيد ولدها تجُرُّه حتّى إنتهت إلى خيمة أبي عبد الله (ع)، وقالت له: أمِنَ الإنصاف سيّدي أن تُفجع بك أمّك الزهراء ولا أواسيها بأن أُفجع بولدي؟! وكأنّي بالإمام قد امتلأت عيناه بالدموع وقال لها: بارك الله فيكم وجزاكم الله عنّي خيراً، فاعتبرها عمرو إذناً بالقتال فنزل إلى الميدان مرتجزاً:

أَمِيـــرِي حُسَـــيْنٌ وَنِعْـــمَ الأَمِيـــرْ ... سُـــرُورُ فُـــؤَادِ البَشِـــيرِ النّـــذِير
عَلِـــــيٌّ وَفَاطِمَـــــةٌ وَالِـــــدَاهُ ... فَهَـلْ تَعْلَمُـونَ لَـهُ مِـنْ نَظِيـر لَـهُ

وقاتل فما أسرَع أن قُتل واحتزّ رأسه ورُمي به إلى جهة معسكر الحسين (ع) فأخذت أُمُه رأسه ومسحت الدم عنه وهي تقول: أحسنت يا بني، يا سرور قلبي، ويا قُرّة عيني، بيَّض الله وجهك كما بيَّضْت وجهي عند سيّدتي فاطمة الزهراء (ع).

ثمّ أخذت عموداً وحملت على الأعداء وهي تقول:

أَنَـــا عَجُـــوزٌ فِـــي النِّسَـــا ضَـــعِيفَه ... خَاوِيَـــــةَ بَالِيَـــــةَ نَحِيفَـــــه
أَضْـــــرِبُكُمْ بِضَـــــرْبَةٍ عَنِيفَـــــه ... دُونَ بَنِـــــي فَاطِمَـــــةَ الشَّـــــرِيفَه

فجاء إليها الحسين (ع) وردَّها إلى خيمة النساء...

أقول: سيّدي أبا عبد الله كُنْتَ تردُّ كلّ إمرأة من نساءِ أصحابِك إلى الخيمة، ولكن بعد استشهادِك مَنْ لِنسائِك ونساءِ أصحابِكِ، وقد هجمت الخيلُ على مُخيِّمِكَ وأُضرِمت النّار بالخيامِ، وهامت النساءُ والأطفالُ على وجوهِها في البيداءِ.

(عاشوري):

ياخوي بقيت محيرة وأصفق باليدين آه آه	لا عباس يبرالي ولا حسين
خُوي يضربوني مِن إبكي وتدْمع العين آه آه	وتبقى عبرتي بصدري تكسر

نعم، أيتُها الأخوات فإنَّ النساءَ واسيْنَ بناتُ رسول الله في كربلاء، ولكن إنتهت مواساتهن في الكوفة، لأن رؤساء قبائِلهنَّ أقبلوا إلى ابْنِ زياد، وتَشفَّعُوا عنده، فإذا ابن زياد يُفرِحُ عَنهُنَّ، فأقبلَ رؤساءُ القبائل إلى الخربةِ ونادوا بنِسائِهم، قُمْنَ النساء، وإذا بالأهلِ والعشيرةِ على البابِ، فعادوا بِهِنَّ منازلِهِن، إلى أن لم يَبْقَ في الخِربةِ إلاَّ زينب وأخوات زينب. جعلت زينب تُديرُ طَرْفها يُمنة ويُسرى فلم تجد أحداً ينادي أين بنات رسول الله، أين بنات عليّ والزهراء.

(نعي):

ويلي أنا منين أبو فاضل أجيبه خُوي	ويشوفني حرمة وغريبة
أنا منين أبوفاضل إقعده	وركب كفوفه فوق زنده
كلمن عشيرتها لفوها	بين المحامل طلعوها
وأنا العشيرتها جفوها	وينك يا بوفاضل يخوها
ويـن الذي ينغر علينا	يذهب لعد حامي الظعينه
	العلامة السهم نابت بعينه
	ويمينه

يقلــه شــنهو نــومتم وحنــا نســبينا	وعــدوانك يــاعمي تطــوف بينــا
مهــو ذلــوا عزيــزتكم ســكينه	بقـت عقـب عزهـا مهبطـه الـرأس

(تخميس):

عبــاس تســمع زينبــاً تــدعوكَ	مَـنْ لِـي يـا حِمـاي إذا العِـدى نهْرونـي

يالله يالله يالله بإسمِكَ العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم فرّج عنّا، ونفِّس غمَّنا، وأغفر ذَنبَنا وأستر عيبنا، وأحسن حالنا، وشافِنا وشافِ مرضانا، وارْحَم مَوْتانا، وتقبَّل أعمالَنا، وأحْسِن عاقِبةَ أَمرِنا، واحشِرنا مع محمد وآل محمد (ع).